

## المحاضرة 03: الأشكال الفرجوية في الجزائر

عرفت الجزائر كغيرها من الدول المغاربية، أشكالا فرجوية مختلفة قبل النهضة المسرحية ، لقيت رواجاً كبيراً و كان لها جمهور لا يستهان به ؛ بل إنها تتقاطع معها في كثير منها مثل: الحلقة ، والمداح ، والآراجوز..... ولقد كان لها الأثر البالغ في تسليية الشعب الجزائري والدفاع عن قضاياه المختلفة خاصة في فترة الاستعمار.

### 1. الألوان القصصية الشعبية

لجأ الإنسان الجزائري إلى الأدب الشعبي لأنه يحقق له " حياة العدالة و الحب التي يحلم بها... و تقدم بوسائلها الخاصة جواباً شافياً عن السؤال الذي يدور بخلد الشعب عن مصيره و كأنما تود أن تقول له هكذا ينبغي أن تعيش خفيفاً متفائلاً متحركاً مغامراً مؤمناً بالقوى السحرية في عالم الغموض الذي تعيشه"1. مظهرين هما: ولقد تبلور ذلك في

### أ/ المداح و القوال

تعرف المجتمع الجزائري على أشكال جديدة يذكر بعض الباحثين منها " الحلقة " و " المداح ". و الحلقة هي شكل من أشكال الفرجة المسرحية التي كانت معروضة في بلاد المشرق العربي كمصر و سوريا، أما المداح فهو الحكواتي، و كان هؤلاء المداحون محبوبين جداً في الجزائر كما كان لهم جمهورهم العريض الذي يرتاد مجالسهم2. لقد كان المداحون أو الرواة يقدمون عروضهم في الأسواق الشعبية و الساحات العامة حيث تلتف حولهم حشود من المتفرجين، يستمعون بشغف لأحداث القصة، و يراقبون باهتمام حركات الراوي فيبدو الواحد منهم و كأنه طرف في القصة، " فمن هنا جاءت فعالية المتفرجين القصوى حيث لا يحسب الواحد منهم أنه مجرد مراقب بل هو مشترك ضروري في كل ما يحدث أمامه"3.

و لعل سبب نجاح تلك العروض، يرجع إلى ما تتوفر عليه الرواية الشعبية من عناصر درامية من ناحية، و ما كان يبيده الراوي الشعبي من براعة و موهبة فنية أثناء عملية الحكوي. و بالرغم من خلو المأثورات الشعبية من الجمالية المسرحية و تقنيات الفن المسرحي الحديث، فإن الراوي استطاع من خلال و سائله الخاصة و ما أوتي من إمكانيات خياله الإبداعية، و قدراته في الأداء الدرامي أن يتقمص شخص القصة ليخلق مشاهد مسرحية منسجمة، مستعينا في ذلك بالحركة و الكلمة. و هو فضلا عن ذلك كان معلقاً على أحداث القصة عن طريق

### 4. السرد

و لقد أفلح الراوي من خلال أدواته الفنية المتاحة له و المتمثلة في الكلمة المنطوقة و الحركة أن يؤثر في جمهوره و يشد انتباهه إليه، و قد توصل من خلال ذلك إلى خلق رباط خفي بينه و بين الجمهور يكاد يكون هذا الرباط الخفي بمثابة الإيهام المعروف في المسرح الحديث، كذلك كان يلجأ في كثير من الأحيان إلى الغناء و الرقص و عزف الموسيقى بهدف بعث الحياة في القصة و إبعاد الملل عن المتفرجين5.

ثم إن ما تقدمه هذه الأشكال الشعبية، " كالمداح " و " الحلقة "، على بساطته، كان ينطوي على مضامين حية تصور الواقع الاجتماعي و الحضاري المتردي للمرحلة التاريخية السائدة، و لذا فطن الاستعمار للدور الذي يمكن أن يلعبه الراوي في التأثير على جمهوره و بالتالي بعث الوعي الاجتماعي و السياسي لدى أوساط الشعب الفقير و المقهور. و على هذا الأساس لجأت السلطة الاستعمارية إلى محاربة المداحين و الرواة الشعبيين و فض مجالسهم<sup>6</sup>. و لا ريب في أن موقف الاستعمار العدائي من هذه الفنون الشعبية و ممارستها، كان عاملا أساسيا، قد أثر تأثيرا سلبيا على تطور هذا الفن من حيث الشكل من ناحية، كما أنه حال دون تطور الراوي الذي لم يجد المناخ المناسب ليطور أدوات فنه كي يتحول إلى ممثل خالص.

## 2. الألوان الشعبية التمثيلية

عرفت الجزائر في القرن التاسع عشر أشكالا تمثيلية محلية، إلى جانب القصص الشعبي الذي كان يتم عن طريق الحلقة و الشعراء المداحين في الأسواق. و كان لهذه الأشكال التمثيلية تقنياتها و قواعدها الخاصة التي أخذت تتكامل عبر التطور التاريخي، و يذكر يعقوب لاندوا، أن هذه التمثيليات كان لها مظهران : الأراجوز و الفارس الشعبي.

### الأراجوز

يعد الأراجوز من الألوان التمثيلية - إلى جانب خيال الظل - التي عرفها العالم العربي بشكل عام. و إذا كان هذا النوع من المسرح الشعبي قد عرفته بعض أقاليم المشرق العربي كمصر و الشام في وقت مبكر يرجع إلى القرن العاشر الميلادي، حيث تطور و ازدهر، و أصبحت له نصوصا مدونة، باستثناء بعض الأخبار التي تؤكد انتشاره، و تذكر لنا ذلك شهادات بعض الرحالة الأوروبيين الذين رأوا عروض الأراجوز في المغرب العربي بشكل عام و الجزائر بشكل خاص<sup>7</sup>.

و إذا كانت هذه الأخبار التي وصلتنا، تختلف في تحديد الفترة التي دخل فيها هذا الفن إلى الجزائر بدقة، و الظروف التي أحاطت بنشوئه، فإن وجوده قد ثبت في تلك البيئة حيث كان مصدر تسلية و ترفيه لدى فئات الشعب و الحكام الأتراك. على أن بعض الدارسين، يذهب إلى أن الأراجوز قد دخل الجزائر في القرن السابع عشر على يد الأتراك الذين جلبوه معهم للتسلية وقت الفراغ خاصة في شهر رمضان. و أول ما ظهر كان في المدن و المناطق حيث يتجمع الأتراك، ثم انتشر بعد ذلك عبر كل البلاد<sup>8</sup>.

### الفارس الشعبي (...)

و إلى جانب الأراجوز الذي ظل حيا رغم مضايقات الاستعمار، ازدهرت بعض التمثيليات القصيرة، لاسيما في نهاية القرن الماضي. و قد عنيت تلك التمثيليات بمضامين مختلفة دينية و دنيوية، كانت تمثل في الغالب في المناسبات كالمولد النبوي و مواسم الحج و الأعراس. و يذكر محي الدين باش طارزي أن بعض الحجاج كانت تمثل رحلاتهم بهذه المناسبة أمام الجمهور في الساحات العامة. و من هؤلاء الحجاج سيدي محي الدين الطيار، و سيد ابراهيم الغبريني و سيدي احمد بن يوسف<sup>9</sup>.

و كان هذا الشكل التمثيلي الجديد عبارة عن فصل أو مشهد كوميدي قصير يقدم في مناسبة معينة، و يعرض قصة هي في الغالب مستوحاة من واقع الطبقات الشعبية<sup>10</sup>. و لذا ظهر في البداية في المناطق الريفية ثم انتقل بعد ذلك إلى المقاهي و الساحات العامة بالمدن.

بالرغم من التشابه بين الأراجوز و الفارس الشعبي من حيث الطابع الكوميدي الذي يسودهما و الغاية التي يهدفان إليها، فإن ثمة فروق جوهرية بينهما، فالفارس يعتمد كلياً على الأداء البشري و لا يلجأ إلى الدمى كما هو الحال في الأراجوز، و الشخصية في الفارس تندمج مع الشخصية التي تتقمصها أو تلعب بدورها، و هي إما شخصية واقعية مستوحاة من المجتمع، أو خيالية. ثم يترتب عن ذلك مسألة أخرى هي الحوار، فعندما كان الحوار في الرواية الشعبية و الأراجوز حواراً مباشراً مع الجمهور المتفرج، تحول في الفارس إلى حوار غير مباشر يتم بين الممثلين الذين يعرضون أحداث القصة دون التخاطب مع المتفرجين.

لقد مهدت هذه الأشكال التمثيلية والقصصية الشعبية كلها لظهور وولادة المسرح الحقيقي كما كان لها الدور الفعال في تثقيف الشعب الجزائري وتصوير واقعه الاجتماعي والسياسي والتاريخي خاصة أثناء الوضع الاستدماري.